المحاضرة 03:

مجازر 08 ماي 1945م وتداعياتها[1] على نشاط الحركة الوطنية

1-الأوضاع العامة في الجزائر قبل المجازر:

1.1-الأوضاع السياسية:

مثلت حركة أحباب البيان (مارس 1944م) جبهة وطنية فعلية بالتفاف بعض النواب والمثقفين والعلماء وعناصر حزب الشعب الجزائري حولها في وقت كان فيه الجزائريون في حاجة الى قيادة وطنية[2] لمواجهة مناورات الإدارة الاستعمارية، وعلى الرغم من أنها قد جمعت عناصر غير متجانسة خاصة مواقفها من سياسة الإدماج ونظرتها الاجتماعية والسياسية فان السلطات الفرنسية شعرت بخطورة نشاط مناضليها المتزايد، والذي تزعمه أعضاء من حزب الشعب السري الذين اتخذوا من هذه الحركة غطاء شرعيا لهم ولمبادئهم الاستقلالية واطار قانوني يجنبهم المتابعة القانونية حسب المؤرخ شارل أندري جوليان[3]، فأراد الاتجاه الأول التعامل مع المانيا بحكم قدرتها على القضاء على فرنسا في حين أثر الاتجاه الثاني سلك الطريق القانوني مع أحباب البيان والحرية على أمل وفاء الحلفاء بوعود الحرية واستقلال الشعوب، ليتجلى الصراع بين الاتجاهات المختلفة في مؤتمر الحركة الثاني المنعقد بتاريخ 2-4 مارس 1945م، والذي فرض فيه تيار حزب الشعب منطقه وأجبروا الأغلبية على المصادقة على وثيقة تدعو الى رفض مشروع تكوين جمهورية جزائرية مستقلة ذاتيا تابعة لفرنسا والمطالبة ببرلمان وحكومة جزائرية والاعتراف بالألوان الوطنية[4].

1- ورد عنوان المحاضرة في المواءمة بهذه الصياغة، غير أنه يستحسن أن يستكمل العنوان كما يلي "مجازر 08 ماي 1945م وتداعياتها على نشاط الحركة الوطنية"، فيتطابق بذلك مع ما ورد في المصادر والمراجع المختلفة التي عالجت الموضوع.

2- جاء تأسيس أحباب البيان والحرية ليعبر عن مسعى جديد توسمته الحركة في العمل الجماعي من خلال البحث عن جميع السائل والطرائق والمناهج من أجل هدف واحد بلغ درجة اليقين السياسي، ولا يقبل التراجع تحت أي طائل، للتوسع، ينظر: نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان،2015م، ص501.

3- شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص329.

4- Roger le tourneau, évolution politique de l'Afrique du nord musulmane la documentation française, Paris 1962, p.12.

لقد كان رد الإدارة الفرنسية عنيفا[1] حيث أقدمت على إعادة مصالي الحاج الى السجن يوم 18 أفريل 1945م ثم نقله الى برازفيل رغم السخط والمظاهرات الكبيرة للجماهير الجزائرية للمطالبة بإطلاق سراحه.

2.1-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

تزامنت التطورات السياسية مع الأزمات الاقتصادية الحادة التي كان يعاني منها الجزائريون، فكانت مظاهر الفقر والبطالة تنتشر في كل مكان نتيجة السياسة الاقتصادية الاستعمارية المنتهجة، ونتيجة آثار الحرب العالمية الثانية، كما زادت مواسم الجفاف المتتالية 1944-1945م التي شهدتها الجزائر من تفاقم الأوضاع نتيجة تضرر المحاصيل الزراعية خاصة في "مقاطعة قسنطينة، أين تأثرت زراعة الحبوب بصفة كبيرة بالهضاب العليا بسطيف، وعم هجوم الجراد مناطق سكيكدة، قالمة وعنابة ..."[2]، حيث تراجع انتاجه سنة 1945م الى 03 ملايين قنطار وهو ما أجبر السلطات الاستعمارية الى استيراد كميات معتبرة من الأغذية، بلغت نسبة الحبوب فيها 12مليون قنطار. قد انعكس النقص الحاد في الإنتاج الزراعي على أسعار السلع المختلفة التي أصبحت تفوق طاقة الجزائريين، حيث تضاعفت أسعار الخبز مثلا ثلاث مرات خلال هذه الفترة، أما اللحوم والاقمشة فبلغت 06 أضعاف قيمتها، وهو ما أدى الى انتشار مظاهر الفقر والجوع، بل وصل الامر الى حد المجاعة[3]، بالإضافة الى ارتفاع معدلات البطالة في صفوف الجماهير الجزائرية.

لقد أثرت الحالة الاقتصادية والاجتماعية المتأزمة على سلوكيات الأهالي الجزائريين، وهو ما أعطى الفرصة للتيار الوطني الثوري لبث أفكاره وسط الجماهير، والتي تقبلتها بحكم تكوينها وأمالها من جهة، وبحكم تذمرها من الوضع القائم من جهة ثانية.

1- Roger le tourneau, op.cit., p.14.

2- لتفاصيل أكثر حول تطور انتاج المحاصيل والتحولات التي طرأت على بعض الأسعار خلال فترة الحرب بالأرقام، ينظر: عبد اللطيف بن أشنهو، تكون التخلف في الجزائر، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر (1830-1962م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979م، ص ص342-345.

3- المرجع نفسه، ص.346.

2-مظاهرات الفاتح من ماي 1945م وبداية الحوادث:

نظم الجزائريون مظاهرات في مختلف المدن الجزائرية بمناسبة حلول اليوم العالمي للعمال، وقد كانت في أغلبها هادئة وسلمية[1]، ومنظمة خاصة في المدن الكبرى منها الجزائر، وهران، بجاية، تلمسان وقسنطينة أبان فيها الجزائريون عن سخطهم ونقمتهم على الوجود الاستيطاني الفرنسي حيث كان مستعدا لمواجهة الشرطة الفرنسية غير أن أنصار حزب الشعب المنحل استغلوا المناسبة وقاموا شعارات نادت "بإطلاق سراح مصالي" و" استقلال الجزائر"، كما رفع المتظاهرون الراية الوطنية[2].

بالمقابل عملت قوات الشرطة الفرنسية على وقف هذه المظاهرات نتيجة الشعارات المرفوعة من هؤلاء المتظاهرين، ما أدى الى التصادم بين الطرفين في العديد من مناطق الوطن كالجزائر، بسكرة، شرشال، سعيدة، وغيرها من المدن، وهو ما أدى الى وقوع ضحايا، ففي مدينة الجزائر مثلا أدت الصدامات الى وقوع 04 قتلى و13 جريحا، أما في مدينة وهران وخلال تظاهرة لسكانها قامت الشرطة بإطلاق النار فسقط قتيل وأصيب 15 من المتظاهرين بجروح، وفي تلمسان أوقفت الشرطة مئات المتظاهرين وحولتهم الى السجون[3].

وفي ذات السياق دعت اللجنة المركزية لحركة أحباب البيان والحرية في بيان لها صدر يوم 04 ماي 1945م الشعب الجزائري الى المشاركة الواسعة في احتفالات النصر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بشرط التقيد بعبارات محددة وهي الاتي:[4]

- يحيا انتصار الديمقراطية على الفاشية والاستعمار والامبريالية
- العفو العام عن المعتقلين.

كما أكد البيان على عدم رفع أي لافتة سواء بالعربية أو الفرنسية خارج هذا الإطار.

1- شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، مرجع سابق، ص910.

2- للتوسع حول هذه المظاهرات، ينظر: محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص ص 935-936.

3- رضوان عيناد ثابت: 08 ماي 1945 في الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، 1986، ص40-41.

4- A.N.O.M, Aix en Provence, boite 8 Cab/88, manifestation à l'occasion de l'armistice annexe, N°.17.

ويؤكد المؤرخ "رضوان عيناد ثابت" أن مدينة قالمة على غرار باقي المدن، شهدت مظاهرة حاشدة في الأول من ماي حضرها حوالي 08 آلاف متظاهر حسب رواية أحد مسؤولي حزب الشعب في المدينة وأن نفس الشعارات حملت من طرف المتظاهرين، غير أن رجال الدرك أوقفوا المظاهرة بعد نقاش سلمي مع أحد المسيرين"[1].

لقد أبانت هذه المظاهرات التلقائية والمعزولة الحماس والغليان الكبير في الأوساط الجزائرية، والاستعداد الواضح لمجابهة فرنسا التي فقدت هيبتها في أعين الجزائريين خلال الحرب العالمية الثانية.

وعموما فان الحياة السياسية العامة في الجزائر قد اتخذت منعطفا جديدا سنة 1945م بتبني أفكار الثورة والتسليح على حد تعبير المؤرخ الفرنسي روبير آرون[2]، خاصة مع التعنت والقمع الفرنسي ضد كل الاحتجاجات والمطالب التي رفعها الجزائريون عشية الاحتفالات بنهاية الحرب العالمية الثانية.

وهكذا تهيأت ظروف سياسية واقتصادية أدت الى تطورات سريعة وانزلاقات كبيرة توجت هذه المرحلة بحوادث 08 ماي 1945م.

3-تنظيم المظاهرات ووقائع المجازر:

1.3-سير المظاهرات:

كانت أحداث الأول من ماي مقدمة المجازر، فبعد أن عمت المظاهرات جميع أنحاء الجزائر واتخذت شكلا سلميا في البداية -رغم بعض مناوشات المتفاوتة الخطورة -تشجع أعضاء حزب الشعب المحظور لاستغلال الفرصة للقيام بمظاهرات مستقلة، للمطالبة باستقلال الجزائر، ونهاية الاستعمار وتحرير مصالي الحاج، وقد شارك آلاف الجزائريين في هذه المظاهرات، رغم تحذيرات الشرطة الفرنسية التي استفزت المتظاهرين وحاولت إطلاق النار عليهم.

إن عزم السلطات الفرنسية على استعمال القوة كان واضحا، خاصة في ظل ضغوطات المستوطنين الذين غضبوا من قرارات ديغول واصلاحاته وعلى رأسها أمرية مارس 1944م التي تهدد وجودهم على حد زعمهم[3].

1- رضوان عيناد ثابت: 08 ماي 1945م في الجزائر، مرجع سابق، ص42.

2- Robert Aron, les origines de la guerre d'Algérie textes et documents contemporaines, Fayard, Paris, 1962, p.165.

3- اتخذت السلطات الاستعمارية إجراءات إدارية وعسكرية اتجاه حركة أحباب البيان والحرية، والمسلمين عموما وذلك تلبية لنداءات المستوطنين الغاضبين من إصلاحات ديغول لصاح المسلمين. للتوسع، ينظر: رضوان عيناد، مرجع سابق، ص ص 39-41.

2.3-تطور الأحداث وحدوث المجازر:

بدأت الاحتفالات مع انتصار الحلفاء يوم 07 ماي 1945م، حين أعلن الحلفاء عن نهاية الحرب، وقرعت طبول المهرجانات في الجزائر بإيعاز من السلطات الفرنسية[1]، خرج الجزائريون هم كذلك في مهرجانات خاصة بهم رافعين شعارات تعبر عن قضيتهم، وعلى رأسها المطالبة بالاستقلال واطلاق سراح مصالي الحاج كما ذهب البعض من المؤرخين الى تأكيد دعوة حزب الشعب السري منضاليه رفع الأعلام الوطنية ولافتات تطالب بحرية الشعب الجزائري واطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والتنديد بالاستعمار والامبريالية، وقد شعرت الإدارة الفرنسية بهذا التوجه الثوري لدى الوطنيين، مما جعلها تتبنى سياسة القوة والقمع ضد كل مساس بالسيادة الفرنسية في الجزائر[2].

وهكذا ومع صباح 08 ماي، وتزامنا مع السوق الأسبوعية لمدينة سطيف، وتوافد السكان من كل الجهات القريبة للمدينة والمجاورة لها، قامت مظاهرة شاركت فيها أعداد كبيرة من الوطنيين تتقدمهم فرق الكشافة الإسلامية، حيث قام شاب يبلغ من العمر 22 سنة وهو "بوزيد سعال" يحمل الراية الوطنية بيده وارتفعت أناشيد الكشافة "من جبالنا" و "حيوا الشمال"[3] فأعطيت الأوامر بإطلاق النار ليكون بذلك هذا الشاب أول ضحية في هذه المظاهرات، التي انتشرت بسرعة البرق، وعمت مختلف المناطق المجاورة حيث تسلح فيها الجزائريون بمختلف الأسلحة في مقابل استنفار السلطات الفرنسية واعطائها الأوامر بالقتل لدرجة اشتراك سلاح الطيران والبحرية في تقتيل الجزائريين[4].

لقد انتهت هذه المظاهرات بسقوط عدد رهيب من الضحايا تحت نيران القوات الفرنسية حيث اختلفت الاحصائيات تعداد الضحايا بين الإدارة الفرنسية التي قللت من حجم الكارثة الإنسانية والجريمة الشعبية التي اقترفتها في حق الجزائريين، وتضليل للرأي العام بأن عدد الضحايا لم يتجاوز 500 فردا حسب وزير الداخلية "Tixier" في حين ذكرت مصادر الحركة الوطنية، وعلى رأسها حزب الشعب أن عدد الضحايا كان حوالي 45 ألف ضحية[5].

1- محمد الميلي، مواقف جزائرية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص177.

2- شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 330.

3- Jean Pierre Peyroulou, Guelma 1945, une subversion française dans l'Algérie coloniale, édition la découverte, Paris, 2009, pp.112-115.

4- محفوظ قداش، مرجع سابق، ص ص942-943.

5- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سابق، ص ص223-225.

وعموما يمكن اجمال أسباب هذه الجريمة الإنسانية في النقاط التالية[1]:

- سبب مباشر: وهو الاعتداء على حامل الراية الوطنية وسقوطه قتيلا.
- أسباب غير مباشرة:
- عدم استجابة فرنسا للمطالب الوطنية بعد نهاية الحرب.
- التذمر الشعبي وتجاوبه مع الأفكار الثورية بعد الدعاية التي صاحبت احداث الحرب العالمية الثانية
- أمرية 07 مارس وتذمر المستوطنين منها
- اتهام الجامعة العربية بتدبير هذه الأحداث

ومجمل القول إن فرنسا ارجعت أسباب الأحداث للأحوال الاقتصادية [2]والمؤامرات الخارجية[3].

4-نتائج المظاهرات وردود الفعل المختلفة.

1.4-النتائج:

تضاربت الاحصائيات حول عدد الضحايا هذه المجزرة التاريخية والجريمة الإنسانية والتي وصفها المناضل "جاك فرجيس" بأنها أسود صورة في تاريخ الإنسانية، وهذا لحجم الخسائر البشرية التي تباينت ارقامها بين الجهات المعنية – السلطات الاستعمارية، الحركة الوطنية، وشهود العيان –

فذكر المؤرخ شارل اندري جوليان[4] أن عدد الضحايا بلغ ما بين 6000-8000 قتيل، في حين ذكرت منشورات حزب الشعب في جوان 1945م ما لا يقل عن 35000 قتيل و90 قتيل فرنسي و45000 أسير جزائري، أما الحكومة الفرنسية فاعترفت ب 1500 قتيل في حين اعترف الجنود الفرنسيون أنفسهم ب 600 الى 8000 قتيل أما الولايات المتحدة الامريكية فذكرت بأن عدد الضحايا هو 35000 قتيل[5].

1- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830الى 1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر،2006، ص ص458-459.

2- مصطفى الاشرف، الجزائر الامة والمجتمع، تر، حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص287.

3- صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1963، ص36.

4- شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص330.

5- للتوسع أكثر حول الاحصائيات المختلفة لضحايا الثامن ماي، ينظر:

-Charles Robert Agéron, les troubles du nord constantinois Mai 45, revue d'histoire, N°.4, année 1984, pp.23 -38.

وزيادة على ذلك اتخذت السلطات الاستعمارية الإجراءات التالية:

☜ الأحكام بالإعدام دون محاكمة قضائية التي شهدتها المدن الجزائرية خلال الأحداث وايهام الرأي العام بأن العدالة هي الفيصل في صدور هذه الأحكام[1].

☜ تصاعد مطالب المستوطنين بضرورة المستوطنين بضرورة الغاء الإصلاحات التي شهدتها الجزائر، أو من المحتمل أن تصدر، والمطالبة بإجراءات قاسية على الجزائريين مثل الاستمرار في حالة الحصار وإقامة محاكم عسكرية.

☜ محاولة الحزب الشيوعي جعل الأحداث فرصة لإعطاء تفسيرات تتناسب مع الأيديولوجية الشيوعية، كما حاول أن يملأ المساحة الفارغة على المستوى السياسي التي تركتها الأحزاب والتنظيمات الجزائرية الأخرى بعد حلها.

☜ حل التنظيمات السياسية وعلى رأسها أحباب البيان والحرية وذلك يوم 14 ماي 1945م بقرار رسمي من الحكومة الفرنسية وذلك بعد أن زج بقياداته في السجن وعلى رأسهم فرحات عباس ولم يبق في الساحة السياسية سوى الحزب الشيوعي.

2.4-ردود الفعل المختلفة:

أ-الموقف الرسمي:

سارعت السلطات الفرنسية لإقناع الرأي العام الرسمي والشعبي بأن ما جرى في الجزائر لا يتجاوز مناوشات داخلية لأسباب اقتصادية، كما أن الإدارة الفرنسية لم تشأ أبدا إظهار الحقيقة بدليل استدعاء اللجنة[2] المكلفة بإجراء

-- ينظر كذلك تقرير مهم لرئيس لجنة التحقيق حول حقيقة المجازر الجنرال "تيبار" :

-Rapport du général tubert d'après le site Http//www.henri- pouillet.fr/spip.php.

1- للتوسع فيما يسمى القمع القضائي خلال حوادث 08 ماي، ينظر: أرشيف ما وراء البحار لمدينة أكس أون بروفنس:

العلب: 8 Cab/870, 8 Cab/88, 8 Cab/166.

وينظر كذلك مقال: عبد السلام عكاش، القمع القضائي عقب حوادث ماي 1945م وقانون العفة مارس 1946م، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، ديسمبر2015م، ص ص335-354.

2- لجنة ترأسها الجنرال تيبار، أنشئت بقرار حكومي ضمت الى جانب الجنرال تيبار السيد "لاباتي" وهو محامي عام بمحكمة الجزائر، وطالب شعيب ولد حمودة قاضيا بتلمسان، توجهت الى سطيف بتاريخ 25 ماي، لكنها استدعيت في اليوم الموالي 26 ماي بأمر من ديغول، ينظر: محفوظ قداش، مرجع سابق، ص978.

التحقيق الإداري غداة توجهها نحو مدينة سطيف من قبل الجنرال ديغول فلم تكمل بذلك عملها، واعتبرت ما حدث تمرد ساخطين على الهزيمة الألمانية[1].

ب–موقف الحزب الشيوعي الفرنسي والجزائري:

لم يختلف موقف الحزب الشيوعي عن أغلبية المواقف الفرنسية التي تجاهلت السبب الحقيقي لأحداث، واكتفوا بالاحتجاج على المبالغة في قمع السكان، ولكنهم في نفس الوقت كانوا يطالبون بمعاقبة الوطنيين عقابا شديدا، واتهموهم بالضلوع في الاضطرابات، حتى أن عمار آوزقان الأمين العام –السكرتير – للحزب لم يتردد في ذكر أسماء بعض الوطنيين كمفدى زكرياء والشاذلي المكي ... ، وانتقد بشدة حزب الشعب الجزائري ودعا للقضاء على الأعضاء المحرضين وتجاوز الى "سجن قادتهم والموظفين السامين التابعين لفيشي ..."[2]، كما نعتهم "بخدام الفاشية" و "الوطنيين المزيفين"[3].

ج–موقف فرحات عباس وأنصاره:

كان فرحات عباس واتباعه لا يؤمنون بالعنف واعتبر 08 ماي مغامرة قامت بها عناصر حزب الشعب[4]، وأكد أن التطرف لا يجدي ولا يساعد الجزائريين في الحصول على حقوقهم، كما أكد براءة أحباب البيان والحرية من تنظيم المظاهرات، وحاول اقناع الراي العام الجزائري، والإدارة الفرنسية قائلا: "اننا نتبرأ من أي دم أريق، وأؤكد بشرفي وأقسم بذلك أمام الله وأمام بلدي وأمام الفرنسيين الجديرين بهذا الإسم[5].

1- محفوظ قداش، مرجع سابق، ص978.

2- رضوان عيناد ثابت، مرجع سابق، ص، 139، كذلك محفوظ قداش، مرجع سابق، ص959.

3- جمعة زروال، الحزب الشيوعي الجزائري ومواقفه من حوادث 08 ماي 1945م، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزء 01، العدد 01، السنة 2013، ص08.

4- فرحات عباس ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص115.

5 - عامر رخيلة، 8 ماي 1945م المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص70.

د-موقف حزب الشعب:

استوعب المأساة وتأكدت نظريته الثورية التي يؤمن بها واتجاهه الاستقلالي، وان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحقيق الاستقلال والحرية، وبالتالي اندفع الى الاتجاه الثوري وفي نظريته أن القوة وحدها قادرة على تحقيق الهدف، وأن الاستعمار لا يفهم غيرها[1].

هـ-موقف جمعية العلماء:

عبر رجال الجمعية بشكل فردي عن مواقفهم من المجازر، فقد علق الشيخ البشير الابراهيمي على حوادث 08 ماي وأعتبرها بمثابة الثورة الفاصلة بين عهدين، وأنه حان الأوان للمطالبة بالحقوق الجزائرية كاملة قائلا: "ان معركة الثامن ماي 1945م ستكون الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية، وبين الاستعداد للثورة المسلحة لانتزاع هذه الحقوق طال الزمن أم قصر"[2].

وفي ذات السياق قال: "لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور ...ثم كتب في أخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله"[3].

1 -يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج 2، دار الهدى، الجزائر، ص347.

2- محمد خير الدين، مذكرات، ج2، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص21.

3- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945م، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1996م، ص291.